الصناعات المحلية وتطورها في مدينة طليطلة ٩٢ / ٤٧٨ هـ

أ.م.د. م.م
عبد الكريم خيطان الياسري سعد قاسم علي السويعدي
Saad Qassim@yahoo.cmo

ملخص البحث

يُعد الجانب الاقتصادي من المقومات الأساسية لأي مدينة أو بلد وهذا الجانب يعكس مدى التطور والتقدم والإزدهار الذي وصلت إليه ومدى المستوى المالي للمجتمع بكل عناصره ومن هذه المدن مدينة طليطلة.

وإن كل ما وجد فيها من صناعات يرجع في الأصل إلى الحقبة التي سبقت الفتح لأنها كانت مدينة متحضرة ومتقدمة صناعياً وهذا يبرر اختيارها عاصمة لدولة القوط دون غيرها من المدن الأندلسية على الرغم من أن أبرز الحقب التي إزدهرت وانتعشت فيها الجوانب الحضارية والاقتصادية كانت في عهد ملوك الطوائف ولاسيما أيام حكم المأمون بن ذي النون.

اما اهم الصناعات في مدينة طليطلة فهي الصناعات الغذائية، والصناعات الكيميائية، والصناعات المعدنية، ولاسيما صناعة الأسلحة ومنها السيوف الطليطلية التي نالت شهرة واسعة في معظم مدن الأندلس والعالم، وعن أهم المعادن الفلزية مثل النحاس والرصاص والزئبق والمعادن وغير الفلزية من رخام وزنجفر وغيرهما من المواد التي انتشرت في طليطلة

الصناعة :

كانت طليطلة من أهم المدن الأسبانية تقدما في الجانب الاقتصادي بصورة عامة والصناعي بصورة خاصة، فقد امتازت مدينة طليطلة بكثرة مصانعها وحرفها المتنوعة ويرجع السبب في ذلك إلى توفر المواد الأولية الداخلة في الصناعة من جهة وتوفر الأيدي العاملة، والموقع الجغرافي من جهة أخرى، مما جعلها محط أنظار القوط الذين سكنوها قبيل الفتح العربي الإسلامي، لذلك أصبحت طليطلة عاصمة لدولة القوط دون غيرها من المدن الأسبانية، لما تتمتع به من مكانة صناعية متقدمة، فشكل تنوع الصناعات المختلفة في طليطلة عاملاً مهماً في انتعاش الجانب الاقتصادي والمالي لدولة طليطلة وسكانها، أما أبرز الصناعات التي اشتهرت بها مدينة طليطلة فيمكن تقسيمها على :

أولاً : الصناعات الغذائية :

١- صناعة الخبز :

صناعة الخبز بأنواعها موجودة في المدن والقرى، ويتعدد نوع الخبز بحسب المزروعات المستخدمة فيه : خبز القمح، وخبز الأرز، وخبز اللوبيا وغيرها[١]، ومما اشتهرت به مدينة طليطلة صناعة الخبز التي كانت فيها المثل الأعلى، وكانوا يصنعون نوعاً من الأقراص بالسمن واللوز ولم

يكن أحدٌ يباريهم فيه[٢]، وكانت للخبازين في طليطلة مكانة لا يستخف بها، وأول كتاب في الطبخ طبع في أسبانيا وكان طبعة سنة ١٥٢٥م في طليطلة، ولا يزال محفوظاً بها بعض الشيء من ذلك الاتقان في الخبز[٣] ويشترى الخبز كل يوم من الفران، أما في الريف فيصنع كل بيت خبزه في بيته غالباً والخبز له وزن وشكل محدد وخضعت هذه الصناعة الرئيسة لمراقبة المحتسب في كل مرحلة من مراحلها[٤].

فقد نهى المحتسب الخبازين من خلط البارد من الخبز بالحار، وأن يفرقون بين الطيب وغيره، وأن يمنعون عن رش وجه الخبز قبل الطبخ بالماء والعسل وبعد الطبخ بالزيت[٥]، وأن يؤمر الخبازين بغسل قصاري العجين كل يوم، وجرد الألواح ومسحها فإن الحشرات تدب عليها، وأن لا يعمل من عجين البيات خبز كبير، لكن يطبخ فردى ويباع بالميزان[٦]، وقد سئل يحيى بن عمر فقيه الاندلس عن الخبز يوجد عند أصحاب الحوانيت ناقصاً؟ قال : أرى أن يؤدب من وجد عنده ويخرج من السوق لأنه يتجر فيه ولا حجة له في نقصانه[٧]، وكانت أبرز الظواهر في الخبز أنه يوجد ناقصاً حين يوزن وهو طري[٨]، كما لجأ الطحانون للغش والخداع بطرق عديدة ومنها سقي القمح بالماء والاستئثار بما يعادل وزنه قمحاً، ومنهم من يخلط سيء الحنطة بجيدها وعتيقها بجديدها[٩]، وبما أن الخبز كان أكثر معاش الناس لذلك فقد تدخل أصحاب الحسبة لفصل تجارتها عن باقي السلع ذوات الروائح الكريهة، فأوصوا بأن لا يمكن من بيع الخبز حوات ولا جزار، ولا من تستنقذ حرفته، ويؤمرون بتغطية الخبز بين أيديهم[١٠]، وللخبز فوائد عديدة منها أن الخبز القليل النخالة والفطير يعقلان البطن[١١]، والخبز الرطب يزيد في اللحم[١٢].

٢- صناعة الخمر :

تعد صناعة الخمر من الصناعات الرائجة في طليطلة، فقد اجتهد أمراء بني أمية كثيراً في التضييق من نطاق انتشارها في بلادهم، وبدءوا بأنفسهم، فكانوا لا يشربون الخمر واستبدلوها بشراب العسل[١٣]، ويرى الباحث بأن انتشار صناعة الخمر في طليطلة في ظل الإسلام يعود لأسباب عدة منها :

١- إن المدينة كانت منذ اللحظة الأولى للفتح الإسلامي خارج سيطرة الدولة المركزية ودليل ذلك كثرة الثورات والتمردات التي قام بها أهل طليطلة ضد أمراء قرطبة، فكان من الطبيعي أن تنتشر مثل هذه الصناعة في مدينة تقع خارج أنظار الحكومة المركزية.

٢- بما أن طليطلة تتكون من عناصر مختلفة من السكان، فقد كانت صناعة الخمر من الصناعات المنتشرة فيها، وذلك أن بعض العناصر في طليطلة لا تعتقد بحرمة شرب الخمر

بل كان من الأمور الشائعة والمعتادة لديهم، حتى شكلت صناعة الخمور مورداً مالياً مهما لهم مثل اليهود وغيرهم من عناصر المجتمع.

٣- أن تربة طليطلة تربة زراعية، فهي صالحة للزراعة، ولتوفر عناصر قيام ونجاح الزراعة فيها، فكانت زراعة المحاصيل الزراعية المختلفة منتشرة فيها ولاسيما زراعة العنب الذي يدخل في صناعة وتحضير الخمور.

وكان من أهم مظاهر مخالفة أوامر الدين الإسلامي، هي ظاهرة شرب الخمر، علناً حتى عد البعض له شيئاً عادياً[١٤].

ثانياً. الصناعات الكيميائية :

١- صناعة الأصباغ :

ارتبطت صباغة الأنسجة ارتباطاً وثيقاً بحياكة المنسوجات، لأن الصباغة أخر مرحلة في صناعة النسيج[١٥]، وتكون دور الصباغة بعيدة عن المساكن، وقريبة من الأنهار[١٦]، تفادياً للروائح الكريهة وتسهيلاً لعملية الصباغة التي تعتمد في الأساس على المياه[١٧]، ومن أهم الألوان التي تعتمد عليها الصباغة اللون الأحمر الذي يؤخذ من القرمز ويوجد في طليطلة[١٨]، وكذلك اللون الأصفر الذي يعد رمزاً من رموز الجمال الذي يبعث السرور في النفس، ويشتق اللون الأصفر من الزعفران الذي يوجد بكثرة في طليطلة[١٩]، ومن المواد الأخرى التي تدخل في الصباغة هو الصبغ السماوي ويوجد في طليطلة[٢٠]، فإنه يشتق من هذه المادة اللون الأزرق الفاتح[٢١]، فكانت طليطلة تصدر الصبغ السماوي إلى نواحي مختلفة من الأندلس[٢٢]، فوجد العرب عندما فتحوا طليطلة مصحفاً فيه صناعة أصباغ الياقوت والأحجار[٢٣].

وكان الصباغون يخضعون لرقابة المحتسب المباشرة فقد نهى الصباغون عن الصبغ بالميثان في لون أخضر ولا بالبقم على لون سماوي فانها دلسة ويستحيل اللون سريعاً[٢٤] كذلك نهوا عن نشر الثياب المصبوغة المبلولة على الطريق فأنها تؤذي الخاطرين بتغيير ثيابهم، ونهوا عن اتخاذ أفرانهم على الطرق فأنهم يؤذون المجتازين بالدخان[٢٥].

٢- صناعة الزجاج :

ازدهرت صناعة الزجاج في الأندلس، ولاسيما صناعة الأكواب والكؤوس التي تعلق في الثريات التي توضع في المساجد والقصور[٢٦]، فتقدمت هذه الصناعة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وخاصة بعد دخول زرياب إلى الأندلس، وتفضيله استخدام الأكواب الزجاجية الصافية في تقديم الماء والشرب بدلاً من أكواب الذهب والفضة والمعادن الأخرى[٢٧]، وتعد صناعة الزجاج أحدى الثمرات الحضارية التي تم إنجازها في عصر الإمارة، وحققت تقدماً مهماً على يد عباس بن فرناس[*] الذي تمكن من صناعة الزجاج عن طريق استخراجه من الحجارة[٢٨]، فقد اشتهرت

صناعة الزجاج في طليطلة بصورة كبيرة في عصر الطوائف[٢٩]، فكانت طليطلة تصنع الزجاج البلوري[٣٠] واستخدم الزجاج في تزيين القصور، ومن ذلك تشيد القبة الزجاجية الملونة المنقوشة بالذهب التي صنعت بأمر المأمون بن ذي النون في قصره في مدينة طليطلة في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي[٣١]، وهذا يدل على أن صناعة الزجاج في طليطلة كانت متقدمة، أما عن تلوين الزجاج، فيضاف أكاسيد مختلفة إلى الزجاج الذائب تكسبه اللون المطلوب، فأكسيد النحاس يعطي الأخضر الفيروزي، واكسيد الكوبلت يعطي الأزرق الفاتح وأكسيد المنغنيز يعطي الارجواني والبنفسجي، وأكسيد القصدير يعطي اللون الأبيض، وبفضله أمكن الحصول على الزجاج المعتم opaque Glass، وأكسيد الحديد يعطي الأحمر، وحجر اللازورد يعطي الأزرق[٣٢]. فقد نهى المحتسب الزجاجيون عن جعل الأحطاب على مقربة من مكان النار خوفاً لئلا يتخذ النار فيها فتحترق فتؤذي الناس والجيران[٣٣].

ثالثاً. الصناعات المعدنية :

١- صناعة الأسلحة (السيوف) :

عندما فتح العرب طليطلة وجدوا فيها صناعة السيوف مزدهرة فزادوا في إتقانها بما كان لأهل دمشق في رسوخ القدم في هذه الصناعة[٣٤]، على الرغم من توقف هذه الصناعة في طليطلة بعد الفتح نتيجة لحالة الفوضى وعدم الاستقرار[٣٥]، ولتوفر المواد الخام الكثيرة فقد كانت طليطلة تصنع من آلات الحرب العجائب[٣٦]، كالتراس والنبال، والرماح والدروع والسروج والالجم[٣٧]، وتوجد في طليطلة مصانع رسمية للسلاح والذخيرة[٣٨]، ويقع معمل السيوف على ضفة نهر تاجه، وتاريخ انشائه إلى سنة ١٧٠هـ/٧٨٨م[٣٩]، ومرد أشتهار مدينة طليطلة بصناعة السيوف يعود إلى جودة الحديد المستخرج من مناجمها[٤٠]، فكانت صناعة الأسلحة الطليطلية من أشهر الصناعات أيام المسلمين، وقد زينت مقابض السيوف بالعاج والاحجار الثمينة[٤١].

ودليل ذلك عندما فتح المسلمون طليطلة وجدوا فيها ألف سيف مجوهر ملكي[٤٢]، ونالت سيوف طليطلة شهرة واسعة كالسيوف الدمشقية[٤٣]، التي عرفت بجودتها منذ القدم، وامتازت نصالها بقطعها الجيد، وتتراوح أثمانها بين خمسة عشر إلى عشرين درهماً[٤٤]، فزاد تفوق طليطلة في إنتاج السيوف والأسلحة[٤٥]، وتعد طليطلة من أشهر مراكز صناعة الأسلحة في عهد الإمارة (١٣٨-٣١٦هـ)، ومن أشهر أنواع السيوف، هي السيوف الفولاذية التي حظيت بشهرة واسعة، والدروع الحديدية والخوذات التي تستخدم لحماية الرأس وتصنع عادة من الحديد[٤٦]، والفولاذ الأندلسي مشهوراً بجودته ومن أهم مراكزه طليطلة[٤٧]، وكان الأمير عبد الرحمن الأوسط قد عمل على إحياء هذه الصناعة في طليطلة، فتطورت وازدهرت من جديد واستمرت فيها طول العصر

الإسلامي[٤٨]، فأصبحت طليطلة في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، ذات شهرة واسعة في كل أنحاء الأندلس باعتبارها مصدراً لأجود أنواع الأسلحة[٤٩]، فنالت نصال طليطلة شهرة عالمية كنصال دمشق[٥٠]، ومن النصال الطليطلية أنموذجات بديعة في متحف مجريط (مدريد)[٥١].

وينقل لنا هيكل عن الأمير الحكم بن هشام في تمجيد السيوف وأسلحة القتال قوله:

غناء صليل البيض أشهى إلى الأذن ... من اللحن في الأوتار واللهو والردن
إذا اختلفت زرق الأسنة والقنا ... أرتك نجوماً يطلعن من الطعن
بها يهتدي السارى وينكشف الدجى ... وتستشعر الدنيا لباسا من الأمن[٥٢]

كذلك قيل في السيوف :

ثقلت على الأعداء إلا أنها ... خفت على السباب والابهام
أخذت من الليل البهيم سواده ... وبدت تنمق أوجه الأيام[٥٣]

وكذلك :

ومهند أخذ العيون بمائه ... فكأنها في دمعها الجوال
أسرى من السراء في الأرواح بل ... أسرى من الأرواح في الأوصال
أن كان للآجال جسم ظاهر ... للعين فهو مجسم الآجال[٥٤]

وفضلاً عن السيوف اشتهرت طليطلة بصنع الآلات المعدنية كالسكاكين وشفرات السيوف[٥٥].

٢- صناعة الحلي :

الحلي : ما يزين به من مصوغ المعدن والحجارة[٥٦]، فعلى الرغم من وجود الذهب والفضة في مناطق مختلفة من الأندلس فإن صياغة الحلي لم تكن متقدمة في تلك الفترة[٥٧]، ومن أصناف الحلي صنف يقال له : **(يارق أو يارقان)** وهو يتخذ في المعاصم، ومنها صنف يقال له **الوشاح،** وهي نظمان من لؤلؤ يخالف بينهما ويعطف أحدهما على الآخر وتتوشح به المرأة[٥٨]، فضلاً عن صناعة الحلي، وكانت هناك صناعات مشتقة من الذهب والفضة، كالأواني الذهبية والفضية، وذلك أن زرياب حمل أهل الأندلس على تفضيل آنية الزجاج على آنية الذهب والفضة[٥٩].

فاشتهرت طليطلة بصياغة المعادن المختلفة[٦٠]، وكان صاغتها في عهد الإمارة يتفنون في صياغة الحلي على أشكال متعددة ومتنوعة لتناسب الأذواق المختلفة، فبرعوا في صياغة الأساور والأقراط والخواتم والخلاخيل والتيجان والسلاسل والعقود[٦١]، وقد بلغت الصياغة أوج عظمتها وازدهارها في عصر الخلافة الأموية إذ استخدم الذهب والفضة في تزيين المساجد والقصور وفي صناعة الأثاث والأواني والتحف الجميلة[٦٢]. وكان الصاغة يمارسون أساليب متنوعة من الغش والتدليس تمثلت بخلط المصوغات الذهبية بمعادن الفضة والنحاس والصفر[٦٣]، ولا زالت طليطلة تشتهر بصياغة الحلي التي ورثوها عن العرب[٦٤].

- صناعة الورق :

انتقلت صناعة الورق إلى المسلمين في القرن الثاني الهجري من الصين[٦٥]، والمعروف أن أهل الصين كانوا أول من عرف صناعة الورق في العالم، وكانت الشعوب في العصور القديمة وفي أوربا خلال معظم العصور الوسطى تستخدم البردي أو الرق (الجلد الرقيق) للكتابة، وهما مادتان باهظتا الثمن، أما لندرتهما أو للمجهود الذي يبذل في سبيل تجهيزهما[٦٦]، فقد عرف الأندلسيون صناعة الورق منذ القرن الرابع الهجري[٦٧]، ويعزى إلى المسلمين أنهم أول من أدخل الورق إلى أوربا عن طريق الأندلس[٦٨]، وأشتهرت طليطلة بصناعة الورق، إذ انتشرت بها المكتبات العامة والخاصة، فكان يعمل بها الورق الذي لا نظير له[٦٩]، وهي أهم مراكز صناعته[٧٠].

- صناعة الخزف :

اشتهرت الصناعات الخزفية في الأندلس منذ وقت مبكر، فوجدت في مالقة وبلنسية وطليطلة، وامتازت المصنوعات الخزفية بتنوعها من حيث الشكل وطرائق الزخرفة وأساليب الصناعة، إذ تأثرت هذه الصناعة بالمنتجات الخزفية العراقية والبيزنطية والقوطية[٧١]، فأعتنى الصناع المسلمون بالأطلية الملونة يدهنون بها سطح الأواني الخزفية فبرعوا فيها منذ عهد قديم[٧٢]، فاشتهرت صناعة الخزف (السيراميك) في بلنسية وطليطلة[٧٣]، واشتهرت بصناعة الخزف الجميل الذي يحمل الطابع التقليدي[٧٤]، وعندهم صناعة الخزف المعروف ببريقه المزجج[٧٥]، وتدل البقايا الخزفية على وجود ثلاثة انواع من الخزف في عصر الخلافة وهي : **الخزف الشعبي، والخزف المزجج، والخزف المذهب**[٧٦]، وهناك أشارة من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، تدل إلى أن القصاع المذهبة كانت من الصناعات المحلية فيها[٧٧]، فضلاً عن صناعة الفخار الاسباني ذي البريق المعدني، الذي يعتبره الهواة بعد الخزف الصيني مباشرة في الجمال والقيمة الفنية، وكان أول ورود لذكر هذه الصناعة في طليطلة سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م، أي أيام الحكم الإسلامي لها، وبقيت

بها بعد سقوطها بيد النصارى[٧٨] فامتازت طليطلة منذ حوالي منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بصناعة الخزف البديع[٧٩].

- صناعة الفخار :

لقد شكلت حرفة الفخارين مصدراً رئيساً لتزويد أسواق الأندلس بمختلف أنواع الفخار المتخذة لحمل الأطعمة والأشربة وتخزينها[٨٠]، والعمل في هذه الصناعة يحتاج إلى تربة نقية خالية من الشوائب لصناعة ما يمكن صناعته[٨١]، وتسهم صناعة الفخار في سد احتياجات المنازل من الأثاث، فكان قسم كبير من المواد المنزلية ولاسيما في منازل القضاة وغيرهم من أهل الزهد، يتألف من مواد فخارية ففي منزل القاضي يحيى بن معمر[*] توجد قلة ماء[٨٢]، وقد اشتهرت طليطلة بصناعة الفخار العجيب[٨٣]، فوجد فيها قلة من الفخار المنقوشة نقشاً عربياً دقيقاً[٨٤]، وكثيراً ما تحصل خلافات بسبب الغش في جودة الجرار والقلال، لذلك وضعت لتجارتها أعراف جرى عليها بائعوا الفخار، مثلاً أن يقتصروا في ترميمها على بياض البيض ومسحوق الخزف والرماد[٨٥]، وخضعت صناعة الفخار لمراقبة المحتسب فامر أصحاب الحسبة أن يؤمر الفخارون بتسييل ترابهم وتطييبه، وأن يقللوا فيه من الرمل[٨٦].

- صناعة الخشب :

إلى جانب الأنشطة الصناعية، فإن الصناعات الخشبية تعد عنصراً مهماً من عناصر النشاط الصناعي[٨٧]، فقد استفاد الأندلسيون من وفرة الخشب في بلادهم، فأتخذوا منه العديد من الصناعات الخشبية منها صناعة السفن، وذلك للموقع الجغرافي لبلادهم، وإحاطة النهر بها من جهات ثلاث، فكان يحتم عليهم ذلك لحماية سواحلهم من الغزو الخارجي[٨٨]، وشكلت الغابات الكثيفة والواسعة التي كان تغطي جبال البرانس بالقرب من طليطلة مصدراً أساسياً للأخشاب[٨٩]، وتميزت مدينة قونكه لأن تكون لها صناعة مزدهرة متخصصة في الحفر على الخشب، وأيضاً في أعداد الصناديق والخزانات الصغيرة من الخشب[٩٠]، ويستفاد من الخشب في صناعة بعض أنواع الأسلحة كالمنجنيق مثلاً الذي كان يستعمل بشكل واسع في الحروب، فقد استعان به الأمير عبد الرحمن بن معاوية في قمع أحدى الثورات في طليطلة[٩١].

-الصناعات الجلدية :

شكلت الصناعات الجلدية جانباً مهماً من جوانب النشاط الاقتصادي[٩٢]، فارتبطت هذه الصناعة بالقطاع الرعوي الذي أتسع نطاقه في المجتمع الريفي والبدوي، واستعمل الجلد في الملابس الجلدية العسيرة الصنع[٩٣]، وصنعت كذلك الأحذية للرجال والنساء[٩٤]، وتركزت الصناعات الجلدية في بعض المدن الأندلسية منها قرطبة وطليطلة[٩٥]، فاشتهرت طليطلة

بالمصنوعات الجلدية المتميزة[٩٦]، فكانت الدباغة من الحرف الأساسية في الصناعة الجلدية، فاشتهرت طليطلة بوفرة جلود الدباغة التي لها قيمة كبيرة[٩٧].

واقيمت صناعة الجلود ودبغها في أماكن بعيدة، أو خارج المدن حتى لا تؤذي رائحتها السكان[٩٨]، وراقب المحتسب هذه الصناعة ومنع الذين يصنعون النعال عن تغليظ حواشي النعال قبل خرزه[٩٩]، ومنع الجلادين من بيع جلود الميتة نية ويبيعونها مدبوغة للانتعال[١٠٠]، كذلك نهى المحتسب الخزارين من عمل النعال الصرارة التي تلبسها النساء[١٠١]، وتختلف أحذية النساء عن أحذية الرجال بعض الشيء، فكان للنساء أحذية خاصة بهن تكون مرصعة بالدر والياقوت وغيرها من الأحجار الكريمة مما قل ثمنه أو كثر[١٠٢].

-صناعة المنسوجات :

أنتج الأندلسيون أنواعاً عديدة من المنسوجات منها : الحريرية والصوفية والكتانية والقطنية[١٠٣] فاشتهرت صناعة الأنسجة في بلاط الخلفاء ومن جاء بعدهم، فقد أثرت الصناعات المشرقية بابتداعاتها الرائعة تأثيراً كبيراً على أسبانيا في صناعة الأقمشة ذات الزخرفة المنسوجة إلى الحلل البغدادية والأقمشة المخططة والملونة[١٠٤]، فاستخدم الحرير بدل الصوف وتعددت انواع الحرير فمنه **العتابي، والديباج، والحلل الموشية**، ويرجع انتشار صناعة الحرير في الأندلس إلى العناية بتربية دودة القز، ووفرت شجرة التوت التي تتغذى عليها دودة القز[١٠٥].

وانتشرت صناعة المنسوجات في أنحاء كثيرة من البلاد نظراً لتوفر المواد الخام اللازمة، من القطن والحرير والصوف وكذلك الأصباغ اللازمة[١٠٦].

وصناعة الأقمشة منتشرة في مدن عديدة منها طليطلة[١٠٧]، فكانت صناعة الصوف والحرير مزدهرة فيها بفضل الصناع المسلمين الذين بقوا فيها عقب سقوطها سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، حتى بلغ عددهم عشرة آلاف صانع[١٠٨]، فكان قربها من جبل الشارات الذي يمتاز بكثرة المراعي ووفرة الأغنام التي تربى عليها قد هيأ مورداً هاماً من الصوف الخام لتلك الصناعة[١٠٩]، والمدينة مركزاً مهماً لصناعة نسيج الحرير والصوف والمخمل والأطلس بجميع أنواعه[١١٠] ومن الصناعات الأخرى التي تميزت بها مدينة طليطلة هي فن التطريز والتخريم[١١١] أما صناعة المنسوجات الكتانية فقد انتشرت مراكزها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، في كلاً من قرطبة ولارده وطليطلة[١١٢].

تميزت طليطلة على بقية المدن الاسبانية بمصانع السجاد والعديد من الصناعات ذات المهارة اليدوية[١١٣]، وخضعت صناعة المنسوجات والأقمشة إلى مراقبة المحتسب، فمنع الكتانيون عن رش الكتان بالماء، وعن جعله في المواضع الندية ليكتسب بذلك رطوبة ويثقل عند الوزن،

وكذلك يؤمر بائعو الغزل بعرض الغزل للشمس[١١٤]، كذلك نهى الصباغون عن نشر الثياب المصبوغة المبلولة على الطريق فأنها تؤذي الخاطرين بتغير ثيابهم[١١٥].

-صناعة العاج :

انتشرت صناعة العاج في الأندلس، ومنها صناعة التحف العاجية التي كانت تستخدم لحفظ الحلي والعطور النسائية، وكانت هذه التحف مقتصرة على العلب التي تشبه الصناديق الصغيرة، وأشكالها أما أسطوانية مع غطاء مقبب، وأما مستطيلة مع غطاء مسطح أو على شكل هرمي ناقص أو مسطحة[١١٦]، وتقسم من حيث الزخرفة إلى ثلاثة أنواع : **الأول**، النوع الذي يشتمل على زخرفة من التوريقات التي تختلط أحياناً برسوم حيوانات، **والثاني**، النوع الذي تنحصر زخارفه في جهات مستديرة أو مفصصة تمثل رسوماً آدمية أو حيوانية، وأحياناً تصور مناظر للعيد، **والثالث** النوع الذي تمثله زخارف دقيقة لأشخاص أو حيوانات بين توريقات[١١٧] واشتهرت طليطلة بصناعة العلب العاجية[١١٨]، فكان فيها معمل لصناعة العاج[١١٩]، فبعد أن هاجم البربر قرطبة وأحرقوا دار صناعة العاج فيها، هاجر صناع قرطبة إلى بلاط المأمون بن ذي النون ملك طليطلة إذ غمرهم بفيض من رعايته، وشجعهم على الاستقرار في ظل كرمه بمدينة قونكه أحدى مدن مملكة طليطلة[١٢٠]، وشيد ملوك بني ذي النون في مدينة قونكه مصنعاً لعمل التحف العاجية تحت أشراف عبد الرحمن بن زيان، وقد وقع باسمه سنة (٤١١هـ/١٠٢٠م)، على صندوق من العاج محفوظ إلى الآن في دير سيلوس (Silos) باسبانيا[١٢١].

ونستنتج من علب وصناديق قونكه المصنوعة في القرنين الخامس والسادس الهجري / الحادي والثاني عشر الميلادي أنها كانت علباً ثرية بزخارفها وطريقة صنعها، ولكنها فقيرة في مادتها المصنوعة منها لعدم توافر العاج، فلم يكن من الميسور الحصول على القطع العاجية الضخمة التي كان يجلبها خلفاء بني أمية، وأصبح استخدام العاج مقصوراً على لوحة رقيقة تنفذ فيها الزخارف[١٢٢]، واقدم هذه التحف العاجية الطليطلية : صندوق من العاج محفوظ في متحف برغش عليه رسوم تمثل مناظر صيد حيوانات تتصارع موزعة في ثلاثة صفوف أفقية، وعلى أعلى الصندوق نقش بالخط الكوفي نصه : ((باقية لصاحبه أطال الله بقاءه مما عمل بمدينة قونكه سنة سبع عشرة واربعمائة، عمل محمد بن زيان عبده أعزه الله)) [١٢٣]، وقد انتقلت صناعة العاج إلى أسبانيا المسيحية بعد سقوط طليطلة في أيدي الأسبان سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م[١٢٤].

-صناعة الفولاذ :

كان الفولاذ الأندلسي مشهوراً بجودته في أنحاء العالم، ومن أهم مراكز صناعته مدينة طليطلة[١٢٥]، التي اشتهرت بأنتاج الفولاذ ولاسيما السيوف الفولاذية[١٢٦]، والفولاذ أصناف ينسب إلى البلاد التي عمل فيها وسبك، وإلى الصناع الحاذقين بعمله لأنه مصنوع وليس يخرج من المعادن فولاذا، وأفضله ما صفا في العمل وقبل الماء في السقاية بسرعة ومنه المجوهر[١٢٧]، واشتهرت طليطلة بصناعة أبر الفولاذ[١٢٨].

الهوامش

(١) عباسي، الملكيات الزراعية، ص٤٩٣ .

(٢) ارسلان، الحلل السندسية، ج١، ص٤٤٠ (هامش رقم ١) .

(٣) المرجع نفسه، ج١، ص٤٤٠ .

(٤) عباسي، الملكيات الزراعية، ص٤٩٣ (هامش رقم ١) .

(٥) ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص٨٩ .

(٦) المصدر نفسه، ص٤٨ .

(٧) مكي ، كتاب أحكام السوق، ص١١١ .

(٨) عباسي، الملكيات الزراعية، ص٤٩٣ .

(٩) ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص٨٨ .

(١٠) المصدر نفسه، ص٨٨.

(١١) الرازي، الحاوي في الطب، ج٦، ص١٩٣ .

(١٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٥٤ .

(١٣) البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص٢٠٤.

(١٤) بدر، المجتمع الأندلسي والمجتمع الأسباني في عصر الطوائف، ص٥٢.

(١٥) البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص١٨٨؛ عباسي، الملكيات الزراعية، ص٤٩١.

(١٦) عباسي، الملكيات الزراعية، ص٤٩١ .

(١٧) الجبالي، النشاط الاقتصادي في الأندلس في عهد الإمارة، ص١٨٥ .

(١٨) عباسي، الملكيات الزراعية، ص٤٩١ .

(١٩) البكري، جغرافية الأندلس، ص٨٨؛ الحميري، الروض المعطار، ٣٩٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣ .

(٢٠) البكري، جغرافية الأندلس، ص٨٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣ .

(٢١) البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص١٩٢ .

(٢٢) البكري، جغرافية الأندلس، ص٨٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣ .

(٢٣) ابن الوردي، خريدة العجائب ، ص٢٢ ؛ القرماني، أخبار الدول، ص٤٦٤.

(٢٤) ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص٥٠ .

(٢٥) الجعماطي، النقل والمواصلات بالأندلس، ص٤٢٦ .

(٢٦) دويدار، المجتمع الأندلسي، ص٣٥٣ .

(٢٧) المرجع نفسه، ص٣٥٣ .

(*) عباس بن فرناس : يكنى أبا القاسم، شاعر أديب مشهور، كان في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن. ينظر : الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص٣٧٨ .

(٢٨) البكر، النشاط الاقتصادي، ص٢١٠-٢١١؛ الزغول، الحرف والصناعات، ص١٧٢؛ بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص١٩٠ .

(٢٩) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج٣، ص٤٤٢ .

(٣٠) عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية، ص٤٧٠ .

(٣١) مرزوق، الفنون الزخرفية، ص٢٠٨؛ الزيدان، الأندلس، ق٣، ص٢٨٠؛ الزغول، الحرف والصناعات، ص١٧٣ .

(٣٢) المرجع نفسه، ص٢٠٨ (ينظر هامش رقم ٣) .

(٣٣) ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص١١٢ .

(٣٤) ارسلان، الحلل السندسية، ج١، ص٤٤٠ (هامش رقم ١)؛ يوسف، طليطلة، ص٥٧ .

(٣٥) الزغول، الحرف والصناعات في الأندلس، ص٩٥ .

(٣٦) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١١ .

(٣٧) ارسلان، الحلل السندسية، ج١، ص٤٤٠ (هامش ١) .

(٣٨) عنان، الأثار الأندلسية الباقية، ص٩٢ .

(٣٩) ارسلان، الحلل السندسية، ج١، ص٤٣٢ .

(٤٠) خالد، أثار الأندلس، ص٩١ .

(٤١) عنان، الأثار الأندلسية، ص٩٢ .

(٤٢) الأدريسي، نزهة المشتاق، مج٢، ص٥٥٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٣؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٨٩ .

(٤٣) عباس، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٧٤؛ حمودة، تاريخ الأندلس (السياسي والعمراني والاجتماعي)، ص٢١٧ .

(٤٤) زكي، عبد الرحمن، السيوف الإسلامية ومميزاتها عند المؤلفين العرب، صحيفة المعهد المصري، مطبعة المعهد المصري، مدريد، ١٩٥٦م، مج٢، عدد ١-٢، ص٥١ .

(٤٥) بروفنسال، أ. ليفي، الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية، دار الطباعة المغربية تطوان، ١٩٥١م، ص٢٦؛ سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص٥٧؛ بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص٥٤؛ بروفنسال، الحضارة العربية في أسبانيا، ص٧٥ .

(٤٦) كيب، مدينة العرب في الأندلس، ص٢٢؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، وآخرون دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٩٨٦م، ص١٨٠ .

(٤٧) دويدار، المجتمع الأندلسي، ص٣٥٤ .

(٤٨) الزغول، الحرف والصناعات في الأندلس، ص٢٠٩ .

(٤٩) نعنعي، الإسلام في طليطلة، ص٢٢٣ .

(٥٠) كونل، الفن الإسلامي، ص١٣٥ .

(٥١) ارسلان، الحلل السندسية، ج١، ص٤٣٢ .

(٥٢) هيكل، أحمد، الأدب الأندلسي (من الفتح إلى سقوط الخلافة)، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ١٩٩٣م، ص٨٣ .

(٥٣) المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٤١٨ .

(٥٤) الكتاني، كتاب التشبيهات، ص١٩٧ .

(٥٥) الحسين، موسوعة الحضارة العربية (العصر الأندلسي)، ص٣٧١ .

(٥٦) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مج٢، ج٤، ص٣٢١ .

(٥٧) البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص١٧٨ .

(٥٨) المرجع نفسه، ص١٧٩ .

(٥٩) البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص١٧٩ .

(٦٠) عباس، اللقاء الحضاري، ص١٤١؛ ماركو، دراسة حول الحضارة الأسبانية، ص١٣ .

(٦١) مورينو، الفن الإسلامي، ص٤٠٢-٤٠٣؛ سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٤٤؛ الزغول، الحرف والصناعات في الأندلس، ص١٣٨.

(٦٢) الزغول، الحرف والصناعات، ص١٣٩.

(٦٣) المرجع نفسه، ص١٤٧ .

(٦٤) جواد، رحلة إلى الأندلس، ص٤٢ .

(٦٥) عباسي، الملكيات الزراعية، ص٤٩٨.

(٦٦) الزغول، الحرف والصناعات، ص١٥٧ .

(٦٧) عباسي، الملكيات الزراعية، ص٤٩٨ .

(٦٨) دويدار، المجتمع الأندلسي، ص٣٥٥ .

(٦٩) مسعد، سامية مصطفى، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ٢٠٠٦م، ص٢٠٠ .

(٧٠) السامرائي، خليل إبراهيم، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٣٢١؛ توفيق، صورة المجتمع الأندلسي، ص٢١٦ .

(٧١) مورينو، الفن الإسلامي، ص٣٦٩-٣٧٠؛ الزغول، الحرف والصناعات، ص١٦٧ .

(٧٢) الحسين، موسوعة الحضارة العربية (العصر الأندلسي)، ص٣٧١ .

(٧٣) عباس، اللقاء الحضاري، ص١٤١؛ ماركو، دراسة حول الحضارة الاسبانية، ص١٣ .

(٧٤) خالد، أثار الأندلس ، ص٩١ .

(٧٥) يوسف، طليطلة، ص٥٧.

(٧٦) مورينو، الفن الإسلامي، ص٣٧٠-٣٧٢-٣٨٢؛ الزغول، الحرف والصناعات، ص١٦٨ .

(٧٧) المرجع نفسه، ص٣٨٣؛ الزغول، الحرف والصناعات، ص١٦٩ .

(٧٨) عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية، ص٤٧١ .

(٧٩) الحسين، موسوعة الحضارة العربية (العصر الأندلسي)، ص٣٧١ .

(٨٠) الجعماطي، النقل والمواصلات بالأندلس، ص٤٨٤ .

(٨١) الفضلي، مثنى فليفل، الثروات الطبيعية في الأندلس واستخداماتها، مجلة ديالى، كلية التربية، جامعة ديالى، ٢٠٠٦م، العدد ٢٥، ص٧ .

(*) يحيى بن معمر : من أهل أشبيلية، يكنى أبا بكر، ولي أحكام القضاء بقرطبه زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة ٢٠٩هـ، ينظر : ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٣٤٠؛ الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص٤٤٢ .

(٨٢) البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص٢١٢.

(٨٣) عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية، ص٤٧٠ .

(٨٤) السماوي، رحلة مصورة، ص٣٥ .

(٨٥) الجعماطي، النقل والمواصلات، ص٤٨٤ .

(٨٦) ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص١١٢ .

(٨٧) البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص١٩٧ .

(٨٨) المرجع نفسه، ص١٩٧ .

(٨٩) نعنعي، الإسلام في طليطلة، ص٢٢٣-٢٢٤ .

(٩٠) المرجع نفسه، ص٢٢٤ .

(٩١) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٣ .

(٩٢) البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص١٩٢ .

(٩٣) عباسي، الملكيات الزراعية، ص٥٠٠ .

(٩٤) البكر، النشاط الاقتصادي، ص١٩٣ .

(٩٥) بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص٦٦؛ عباسي، الملكيات الزراعية، ص٥٠٠-٥٠١ .

(٩٦) السماوي، رحلة مصورة، ص٣٥.

(٩٧) الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس والمغرب، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٨١م، ج٦، ص٥٠٣ .

(٩٨) بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص٦٦؛ عباسي، الملكيات الزراعية، ص٥٠١.

(٩٩) أبن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص١٠٣ .

(١٠٠) المصدر نفسه، ص١٠٢ .

(١٠١) مكي، كتاب أحكام السوق، ص١٢٦ .

(١٠٢) البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص١٩٣ .

(١٠٣) عباسي، الملكيات الزراعية، ص٤٨٥ .

(١٠٤) مورينو، الفن الإسلامي، ص٤١١ .

(١٠٥) عباسي، الملكيات الزراعية، ص٤٨٥ .

(١٠٦) دويدار، المجتمع الأندلسي، ص٣٤٨ .

(١٠٧) عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية، ص٤٧٠ .

(١٠٨) المرجع نفسه، ص٤٧٠ .

(١٠٩) عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية ، ص٤٧٠-٤٧١ .

(١١٠) يوسف، طليطلة، ص٥٧ .

(١١١) عباس، اللقاء الحضاري، ١٤١؛ ماركو، دراسة حول الحضارة الأسبانية، ص١٣.

(١١٢) الزغول، الحرف والصناعات، ص١١٠-١١١ .

(١١٣) ويكيبيديا، طليطلة، ص٣ .

(١١٤) ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص٨٧ .

(١١٥) المصدر نفسه، ص١٠٦.

(١١٦) مورينو، الفن الإسلامي، ص٣٥٥؛ سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣٢ .

(١١٧) سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص٢٦٤ .

(١١٨) المرجع نفسه، ص٥٧ .

(١١٩) مورينو، الفن الإسلامي، ص٣٨٣؛ سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص٢٦٤ .

(١٢٠) سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ص١٤٣.

(١٢١) مورينو، الفن الإسلامي، ص٣٦٨؛ مرزوق، الفنون الزخرفية، ص١٩٩؛ الزغول، الحرف والصناعات في الأندلس، ص٢٣٥ .

(١٢٢) سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص٢٦٥؛ سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣٤.

(١٢٣) سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام ، ص٢٦٥-٢٦٦؛ دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، ص٣٥٣.

(١٢٤) مورينو، الفن الإسلامي، ص٣٦٩ .

(١٢٥) عاشور، وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٨٠ .

(١٢٦) المرجع نفسه، ص١٨٠؛ ويكيبيديا، طليطلة، ص٣؛ كيب، مدينة العرب في الأندلس، ص٢٢.

(١٢٧) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٤٨ .

(١٢٨) ارسلان، الحلل السندسية، ج١، ص٤٤٠ (هامش رقم ١) .

The Local Industries and Their Development in the City of Toledo ٩٢-٤٧٨ A.H.

Prepared by

Asst. Prof. Dr.
Abdulkareem Khaytan Al-Yassiri

Asst. Lect.
Saad Qassim Ali Al-Sweidi

Abstract

This thesis dealt with the economical in tolido ٩٢ – ٤٧٨ A.H the thesis consists of introduction and preface, the most prominent juristic sects, feasts, occasions in which the tolido celebrate in addition to foods meals made there and cloths of the people and bathrooms related to tidy and purification.

I mentioned industry in the town and the most prominent nutrition industry such as bread and chemical and metal industry specially weapons, such as swords in tolido of broad reputation in Anduls and the world and about the metal in it such as silver, copper, lead and others and nonmetal such as marble and zanjfar.